المحاضرة الثالثة عشر: موقف كروتشيه من نظريات الأجناس الأدبية

مقدمة :

يُعدّ بينيديتو كروتشه (Benedetto Croce) واحداً من أبرز فلاسفة الجمال في القرن العشرين، وهو مفكر إيطالي جمع بين الفلسفة والنقد والأدب Kوقد مثّل في فكره الجمالي مرحلة مفصلية في تاريخ النظرية الأدبية، إذ وقف موقفاً نقدياً صارماً من فكرة "الأجناس الأدبية"، وعدّها مفهوماً زائفاً لا وجود له في الفن الخالص، فبينما انشغل النقاد الكلاسيكيون — من أرسطو إلى ياكبسون وتودوروف — بتصنيف الأدب إلى أنواع محددة (ملحمة، دراما، شعر غنائي، إلخ)، رأى كروتشه أن هذا التصنيف يُسيء إلى جوهر الإبداع ويحول الفن إلى قواعد جامدة .وهكذا، اتخذ موقفاً مثاليّاً ذاتيّاً يجعل الفن تعبيراً عن التجربة الداخلية للفنان، لا عن نوع أدبي محدد.

ثانياً: خلفية فكرية وفلسفية

.1كروتشه كفيلسوف للجمال

كروتشه لم يكن ناقداً أدبياً تقليدياً، بل فيلسوفاً مثالياً تأثر بالفكر الهيغلي.(Hegelian Idealism)

فهو يرى أن الإنسان يُدرك العالم عبر نوعين من النشاط العقلي:

النشاط	طبيعته	وظيفته
النشاط النظري (Theoretical)	يتجه إلى المعرفة والتأمل	تمثل في الفلسفة والعلم
النشاط العملي (Practical)	يتجه إلى الفعل والقيمة	يتمثل في الأخلاق والسياسة

أما الفن فهو في نظره نشاط خاص يقع ضمن المجال النظري، لكنه ليس معرفة عقلية، بل تعبير حدسي عن الوجدان.

.2الفن كـ"تعبير حدسي(Intuitive Expression) "

الفن عند كروتشه ليس محاكاة للواقع كما قال أرسطو، ولا هو نظام من العلامات كما يرى البنيويون، بل هو تعبير داخلي عن الحدس الوجداني، بمعنى أن العمل الفني لا يصف العالم، بل يُعبّر عن انفعال الفنان وتجاربه الداخلية، ومن هنا، فالفن لا يمكن أن يُختزل في قواعد أو أنواع، لأن كل تجربة فنية فريدة ولا تتكرر.

ثالثاً: نقد كروتشه لفكرة "الأنواع الأدبية"

.1رفضه للتقسيمات الشكلية

يرى كروتشه أن تقسيم الأدب إلى أجناس (شعر، نثر، دراما، رواية، ملحمة...) هو تقسيم مصطنع فرضه النقاد والمدارس البلاغية، وليس له أساس في طبيعة الفن نفسه، إذ يقول في كتابه "الجمال

كعلم للتعبير:(Aesthetic as Science of Expression, 1902) " لا وجود لأجناس أدبية في الفن الخالص؛ فكل عمل فني هو نوع قائم بذاته"".

.2الأسباب الفلسفية لهذا الرفض

يستند كروتشه في رفضه إلى عدة مبررات:

السبب	التوضيح
وحدة التجربة الفنية	العمل الأدبي ينبع من تجربة وجدانية متكاملة لا يمكن تقسيمها
تفرد العمل الفني.	كل عمل أدبي يحمل بصمة فريدة تجعله غير قابل للقياس على غيره
الطبيعة الذاتية للفن	الفن فعل داخلي، بينما الأجناس تصنيف خارجي لا يمس جوهر الإبداع
استحالة الحدود الدقيقة	كثير من الأعمال تتقاطع بين الأجناس (كالرواية الشعرية أو المسرح الشعري.

وهكذا يرى كروتشه أن كل محاولة لتصنيف الأدب هي تدمير لفرادته وجماليته.

رابعاً: الفن والتاريخ — التمييز بين الجمالي وغير الجمالي

من الركائز الأساسية في فكر كروتشه التمييز بين الفن والتاريخ.

فهو يقول إن:الفن هو تعبير حدسي عن تجربة داخلية، بينما التاريخ هو معرفة مفهومية عن أحداث واقعية، وبذلك، لا يمكن إخضاع الفن لمفاهيم تحليلية أو تصنيفات منطقية كما يفعل المؤرخ أو الناقد، فالنقد الذي يعتمد على "الأنواع" هو نقد تاريخي أو وصفي، لا جمالي.

خامساً: موقفه من الشعر واللغة الأدبية

.1الشعر بوصفه تعبيراً خالصاً

يضع كروتشه الشعر في قمة الفنون لأنه أقربها إلى "التعبير النقي"، فالشاعر لا يصف ولا يحلل، بل يُجسّد وجدانه في صورة لغوية حدسية، لذلك، فإن كل محاولة لتصنيف الشعر إلى غنائي أو ملحمي أو رمزي هي — في نظره — تشويه لطبيعته الحرة.

.2اللغة عند كروتشه

اللغة ليست أداة لنقل المعاني، بل هي وسيلة للتعبير عن الحدس الداخلي، وبالتالي، فكل عمل لغوي جميل هو عمل فني، بصرف النظر عن جنسه الأدبي.

سادساً: مقارنة بين كروتشه والموقف الكلاسيكي من الأجناس

المبدأ	الفكر الكلاسيكي	كروتشه
الغاية من التصنيف	تحديد قواعد وضوابط لكل نوع أدبي	رفض التصنيف كلياً
العلاقة بين الأجناس	أجناس ثابتة لها خصائص محددة	لا أجناس، بل أعمال فردية متفردة
الفن والواقع	محاكاة أو تمثيل للواقع تعبير	ذاتي حدسي عن الوجدان

الناقد	يصنّف ويقارن	ينفذ إلى التجربة الوجدانية الخاصة بكل عمل
العمل الفني	يُقاس بمعايير النوع	يُقاس بمدى صدقه التعبيري والفني

من هنا، يمثل كروتشه ثورة ضد النزعة التصنيفية التي سادت في النقد الأدبي قروناً طويلة.

سابعاً: النتائج المترتبة على موقف كروتشه

.1تحرير الفن من القوالب الجامدة: لم يعد على الشاعر أو الروائي أن ينتمي إلى نوع أدبي محدد؛ بل يكفي أن يكون عمله تعبيراً صادقاً وجميلاً.

.2إلغاء الحدود بين الفنون: قد يمتزج الشعر بالموسيقى، والرواية بالمسرح، لأن الحدود الشكلية لا معنى لها.

.3تجديد النقد الأدبي: النقد عند كروتشه ليس تحليلاً بنيوياً أو مقارناً، بل تجربة وجدانية موازية لعمل الفنان، أي أن الناقد يعيد خلق العمل في ذهنه.

.4إعلاء شأن الذاتية في الإبداع: القيمة الجمالية تتحدد بمدى الصدق الداخلي للتجربة، لا بانتمائها لجنس أو تقليد أدبي.

الخاتمة:

يُمكن تلخيص موقف كروتشه في العبارة التالية" <:كل عمل فني هو نوعه الخاص، لأن الفن لا يتكرر، ولا يُقاس، ولا يُصنّف.، وهكذا، يقف كروتشه في مواجهة كل النزعات الشكلية والتقنينية التي سعت إلى حصر الإبداع في قوالب جاهزة. إنّ الفن عنده تعبير حرّ عن الذات الإنسانية، وبهذا المعنى فإن الأجناس الأدبية ليست سوى تقاليد مدرسية لا تمت إلى جوهر الفن الحقيقي بصلة.

جدول تلخيصي لموقف كروتشه

المفهوم	موقف كروتشه
الأجناس الأدبية	وهم نقدي لا وجود له في الفن الحقيقي
العمل الأدبي	تجربة فردية فريدة، وحدة غير قابلة للتصنيف
الناقد	يعيد تجربة الفنان في ذاته، لا يصنّفها
اللغة الأدبية	وسيلة للتعبير الحدسي عن الوجدان
المعيار الجمالي	الصدق الفني والحدس الصافي
الفن والتاريخ	الفن تعبير، والتاريخ معرفة مفهومية
النتيجة	حرّ، لا يخضع لقوانين أو تقسيمات